

سيبويه والمدرسة الاندلسية المغربية في النحو

لمرحوم الاستاذ : علال الفاسي

وكانت المحافظة شمار البصرة ، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة ، لا يكفيهم الواحد والاثنتان منها ، فاذا اجتمع لديهم منها ما يطمنون اليه أسسوا عليه قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذا ، بينما كان الكوفيون يكتبون بالسماع الصحيح ، ويستدلون بأحدث المروي عن الرسول (صلم) وعندهم الشاذ قليل .

وامتاز علماء الكوفة باتهم اول من اشتغل بقواعد الصرف ، ومن اول علمائهم في هذا الشأن معاد الهراء وابو جعفر الرؤاسي المتوفى عام 190 هـ استاذ الكسائي ينسب اليه كتاب الفيصل الذي يقال انه اول ما ألف في النحو على الطريقة الكوفية .

اما المغاربة وفي مقدمتهم الاندلسيون فقد عرفوا نحو الكوفة قبل ان يعرفوا نحو البصرة ووصل اليهم كتاب الكسائي قبل ان يصل كتاب سيبويه ، وينكر صاحب البغية ان جودي بن عثمان الطليطلي انتقل الى المشرق فاجتمع بالكسائي والقراء ، وكان اول من ادخل كتاب الكسائي الى الاندلس ، وألف كتابا في النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان مولى لآل يزيد بن طلحة العبسين ، وقام الفضل مفرج ابن مالك بشرح كتاب الكسائي ومات بعد المائتين . اما كتاب سيبويه فاقدم من حفظه من المغاربة القرويين ابو عبد الله الملقب بالتمجة واسمه حمدون ابن اسماعيل ومات بعد المائتين .

ومع الميل الذي كان للمغاربة عموما للمذهب الكوفي ، فقد وقع منهم اقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به ، تاييدا ونقدا ، وقبولا وردا ، ولعلل الاسباب التي كانت تدعو المغاربة على الخصوص للميل لكل ما هو كوفي ، وحجبه لآل البيت ، العباسيين اولا ، ثم العلويين بعد ان ثار هؤلاء على العباسيين ، يدل على ذلك ان المغرب في اول امره كان يعيل الى فقه ابي حنيفة ، حتى تاثروا بدعوة الحسين صاحب فخ ، وتاييد مالك لدعوة محمد النفس الزكية حين قام

تحتفل شيراز ومعها العالم العربي والاسلامي بفكرى رجل عظيم كان له الدور الخطير في خدمة لغة القرآن ورواياته ، وفي تقعيد قواعد النحو وفنونه ، الا وهو امام البصريين وحجة التحوين ابو محمد ابن عثمان المعروف بسيبويه والمولود باحدى قرى شيراز المسماة بالبيضاء ، فارسي الاصل ، بصري المقام ، عربي الثقافة ، وقد كان سيبويه درس الفقه والحديث والتفسير في اول حياته الدراسية ، ثم لما رأى اللحن يفتشو في الناس آلمه ذلك فانصرف الى طلب النحو وجد في درسه وتعلمه على ائمة عصره وفي مقدمتهم الخليل بن احمد وابو الخطاب الاخفش ، وما زال يطلب هذا العلم حتى اصبح فيه اماما .

واذا كان مخفقو المؤرخين للعلوم وتقسيمها اتفقوا على ان اول من وضع النحو هو الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، ثم تلميذه ومريده ابي الاسود الدؤلي الذي اخذ عنه الاصول ووضع هو من المناهج والقواعد الشيء الكثير ، فان عالين من اعلام العربية يعتبران الواضعين للمعلم نفسه .

وهما علي بن حمزة الملقب بالكسائي الذي نشأ بالكوفة ، واصبح احد ائمة القراء وصاحب قراءة خاصة به ، فهو من القراء السبعة الذين تولى القرآن بحروفهم وهو مؤسس المذهب الكوفي في النحو ، وكان هو ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة حظين عند المهدي ثم الرشيد من بعده .

والثاني هو سيبويه العظيم صاحب « الكتاب » الشهير المعروف باسمه في النحو ومؤسس المذهب البصري الذي طبق الاقاي .

وبهذين الرجلين تكونت مدرستان عظيمتان في النحو جرى بينهما تنافس كبير وخلاف عظيم في طرق البحث ومناهج الاستدلال ، وحين المعروف ان سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على تفضيل اهل الكوفة وتقديمهم على اهل البصرة لان هوى هؤلاء كان امويا بينما كان هوى الاولين عباسيا .

اتصالهم بالمذهب البصري ودراسة كتاب سيوييه ومناقشة الآراء جميعها حتى تاتي لهم ما يمكن ان يسمى مذهباً رابعاً اذا اعتبرنا الاختيارات البغدائية مذهباً ثالثاً . وانك لو اجدت في كتب النحو اضافات احدثها علماء الاندلس والمغرب مثل اسماء ابن خروف المتوفى سنة 609 هو وابن عصفور والشلوين وابن الضائع المتوفى سنة 680 وان كان الاستاذ سعيد الافغاني لا يرى في هذه الاضافات ما يميزها عن غيرها من التخريجات المختلفة المعروضة في القضية الواحدة، او بعبارة اخرى ليس لآراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة (2) .

ويناقش بعد ذلك فيما قاله ابو حيان في شرح النسهيل من ان ابن خروف وابن مالك شرعا الاستشهاد في النحو بالحديث ، مع ان ذلك كان معروفاً عند جماعة في القديم والحديث مستنداً لذلك ، يقول السهلي : « لا نعلم احداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة (الاستدلال بالحديث في النحو) الا ما ابداه الشيخ ابو حيان في شرح النسهيل ، وابو الحسن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما على ذلك جلال السيوطي » (3)

والواقع ان الذين يتحدثون عن المدرسة الاندلسية المغربية لا يرمون الى ادعاء وجودها في هذه الفترة ، اي قبل ابن حزم وانتشار المذهب الظاهري في الاندلس والمغرب ، فقد سبق ان بينا ان هذه الفترة الاولى كانت فترة الميل الى المذهب الكوفي وتفضيله على المذهب البصري ، ولا شك ان الكوفيين كانوا يقدمون العمل بالحديث على القياس على عكس البصريين ، ومن الملاحظ في عمل سيوييه انه لا يستدل بالحديث ولا يدلي به كحجة لتفسير اية مفردة لغوية او تطبيق قاعدة نحوية ، وان كانت مادة الكتاب مليئة بايات الكتاب الكريم الى جانب الامثال والجهل التي تتداولها الناس ، وليس معنى هذا انه لا يوجد من البصريين من يستدل بالحديث ، فالمدرستان الكوفية والبصرية التقيا عند كثير من النحويين في عدة مسائل ، ولولا ذلك لما صح ان يقال او يظن ان هنالك طريقة ثالثة هي طريقة البغداديين مثلاً .

فالتورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه

والدعوة للخلافة العلوية ، فاتحاز للمذهب المالكي الذي يزيد على ما سبق بميزته بالحنفية والحديث وكون امامه عالم المدينة ، اما فيما يرجع للنحو فقد حافظ على ميله للمذهب الكوفي ، لان الكوفة امتهد بها النحو منذ تاسيس على بن ابي طالب كرم الله وجهه له ، ناهيك ان ابا حيان الذي لم يكن يدرس كتاب النحو الا في كتاب التسهيل او في كتاب سيوييه (1) . وهو بربري الاصل من نفزة ، وكان شديد المحبة لعلي بن ابي طالب ، وانتقل من المذهب الشافعي الى مذهب الظاهرية ، وكان يقول محال ان يرجع عن المذهب الظاهري من ذاقه ، والمذهب الظاهري ينكر القياس في الفقه فاحرى به ان ينكره في النحو .

واذا كان الكسائي قرا كتاب سيوييه على الاخفش سرا ، ومات الفراء وكتاب سيوييه تحت وسادته ، مع انها كانا يخالفان مذهب سيوييه حتى في القاب الاعراب وتسمية الحروف ، فلا غرابة ان نرى المغاربة ايضا من الاوائل الذين عرغوا كتاب الاخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيوييه الى امثال ابن مالك وابن اجرم الفاسي صاحب المقدمة المشهورة ، يعتقدون اعتناء كبيراً بكتاب سيوييه بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولون خلق مدرسة اندلسية مغربية ذات اضافات لما ذهب اليه البصريون والكوفيون وما اختلف معهما فيه البغداديون .

فابن اجرم محمد بن داود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية ، امام النحو واستاذه في عصره ، والذي وقع الاقبال على دراسة مقدمته الصغيرة هذه حتى كانت اول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب قبل النهضة الجديدة .

كان ابن اجرم هذا من الذين يدرسون كتاب سيوييه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه ، فقد عبر بالخفض كما يعبر الكوفيون لا بالجر ، وقال الامر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب وذكر كيفما في الجوازم والجزم بها راي الكوفيين وانكرها البصريون ، وكان مولده عام اثنين وسبعين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس .

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية مع

(1) البغية ص 121 - (2) سعيد الافغاني الدراسات الاسلامية في مدريد ص 78 ع 807 (3) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ مجيد الخضر بن الحسين ، ص 168 ط . دمشق .

زمن ابن حزم ، ولا سيما زمن الموحدين ، صاحبها فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس التحوية ، لا أقول المشرقية كما يقول الاستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين ، ولكن على جميع الذين جنحوا الى القياس والى التعليلات وما يضمه النحو من الحشويات التي سبق ان قال عنها الخليل احمد حسبا نقله الجاحظ في كتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه) (1) .

وقد درس ابن مضاء كما سيأتى كتاب سيويه وشرح السرفى عليه ، ولكن الدكتور شوقي ضيف يلاحظ بحق أن ابن مضاء لم يعن بالنحو الكوفى ، ويعطى ذلك بانه لم يحاول التوفيق بين مذاهب النحويين وانما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة ، وقد اختار المذهب البصري (الذي كان شائعا من حوله) ولا يزال شائعا الى عصرنا الحاضر ، فاتخذة مسرحا لممارسته مع النحاة .

ولم يصب شوقي ضيف في هذا التمهليل ، لان النحو البصري لم يكن شائعا في المغرب ولا يزال الى اليوم ، بل العكس هو الصحيح اذ ان النحو الكوفى هو الشائع، والمغاربية كوفيون من جهة المدرسة التحوية .

ولعل ابن مضاء وجد في النحو البصري ما يكون اهلا لان يقاوم بيننا النحو الكوفى يعنى بالسماع أكثر مما يعنى بالقياس كما سبق ان بينا ، فالمدرسة الجديدة للنحو فى الاندلس والمغرب قامت فى مهد كوفى وضدا على النحو البصري الذي كان المغاربية يعنون بدراسة كتبه الكبرى ولا سيما سيويه وان لم يقولوا بالكثير من آرائه .

لقد اشار ابن حزم فى كتابه التقريب لحد التطق الى ان علم النحو يرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهيم للمعاني بلغتهم، واما المال فيه ففاسدة جدا (..)

ومفهوم ما يرمى اليه ابن حزم باظهاره فساد المال التحوية ، لانه اذا فسدت المال لم يبق مجال للقياس ، وهو ما يريد ابن حزم ان يطبق فيه مذهبه الفقهي بعدم القول بالقياس على النحو ، ولم يستطع

السيد سعيد الافغانى ان يتصور نحوا لا قياس فيه ، كما لم يستطع الفقهاء ان يتصوروا فقها لا قياس فيه، مع ان وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن اراد ، لان عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجيء فيه نص على فطرته اللغوية اي سليقته العربية ، كما ان ما لم يرد فيه نص يبقى على اساس اباحتها الشرعية ، فالمذهب الظاهري فى النحو توسعة فى اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة فى ابتكار ما لم يقل لا فى القيلس على ما قيل .

واذن فقد ظل الميل المغربى لمذهب السكوفة فى النحو قائما حتى بدت نظرية ابن حزم اولا ثم جاءت الثورة الموحدية فانصرف نظاروها النظر فى ما يجب تغييره من علم الكلام . وذهب آخرون منهم الى نقض الفقه المالكي ، وطائفة ثالثة يتزعمها ابن مضاء اتجهت الى محاولة تفجير الراي الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرا ينبع بنحو ظاهري مستقر ، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية ايجابية او فتح باب الاجتهاد فى النحو للتقدم به الى الامام .

ومن انبث ان يقال ان هذه المحاولات لا شيء، لان ابن مضاء لم يوفق فى بعض ادعائه ، فالنظرية لا تخرج كاملة من اول مرة ، ولذلك نجد ابن مضاء الموحدى الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين ان يفهموا منهجهم فى دراسة النحو .

ويعترف ابن مضاء للمؤسسى النحو الاولين انهم وضعوا صناعته لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التى املوا وانتهوا الى المطلب الذى ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها : فتوعرت مسالكها ووهنت مبادئها، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها ، حتى قال شاعر فيها .

ترنو بطرف ساحر فاطر اضعف من حجة نحوي

على انها اذا اخذت الملائخ المبرا من الفضول مجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من اوضح العلوم برهانا وارجح المعارف عند الامتحان ميزانا ، ولم تستعمل الا على يقين او ما قاربه من الظنون ، (2)

(1) مقدمة ابن مضاء لشوقي ضيف

(2) الرد على النحويين لابن مضاء . ص 80 ط شوقي ضيف .

6) الدعوة الى الغناء اللواتي والثوات

7) الدعوة الى الغناء القياسي

8) الدعوة الى الغناء التمارين غير العملية

9) يطالب ابن مضاء باسقاط الاختلاف في ما لا

يفيد نطقا من النحو ، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول .

ان محاولة ابن مضاء تسهيل النحو واسقاط الحشويات من تعليمه جزء من ثورة جريئة قام بها الموحدون وارادوا ان تكون شاملة في جميع الميادين ، ولكنه كما رجع المفاربة بعد انتهاء العهد الموحد الى ما الفوه من المذهب المالكي في الفقه عادوا الى اختيار المذهب الكوفي في النحو مع اقتباسات من مذهب البصريين والبغداديين . وقد ظل ابن آجروم وابسن مالك امامين للمفاربة لم يؤثر فيها الا هذه المؤلفات المعصرية الجديدة التي لم تترك للنحو العربي قيمته لما فيها من الاختصار وعدم الدقة في تفهم الالفاظ والماتى . وهكذا نجد المدرسة الانطلسية المغربية معنية بالنقل ، اولا باختيارها المذهب الكوفي ، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه ، وبالعباية مع هذا وذاك بدراسة المذهب البصري وكتاب سيبويه على الخصوص ، وليس من الانصاف ان لا يعترف للمغرب بما بذله من جهد في سبيل ابراز النظريات النحوية المختلفة ومحاولته الافادة منها وابتكار الجديد من غيرها .

عناية المفاربة بدراسة سيبويه :

وبعد ، فلان ما لكرناه من اختيارات مغربية ومن مدرسة انطلسية مغربية للنحو داخل في باب العناية بدراسة سيبويه ومناقشته والاخذ منه والرد عليه ، ومع كل ذلك فقد عنى المفاربة دائما بدراسة ككتاب سيبويه وحفظه وشرحه والتعليق عليه ، ونذكر من الذين اعتنوا بالكتاب هذه الجماعة التي تمثل فرها وتعتبر عن قيمتهم العلمية .

1) فمنهم عبد الله بن الجهد الفهري ابو القاسم المتوفى سنة خمس عشرة وهمسائة ، شرح سيبويه وكان من ائمة الفقه والحديث والتفنن في المعارف .
2) ابو هيان الذي سبق ان نوهنا بعنانيته بصاحب الكتاب ، وهو وان رهل الى المشرق واستقر فيه فهو بربري من شيمة البربر الذين ناروا لمذهبهم منطلقين من قبيلة نفزة التي ينتمى اليها ابو حيان ، وقد كان نحويًا العظيم ومفسرنا الكبير من اصداقنا ابن تيمية المصلح المشهور ، ولكن حدث ان سأل

وخالصة النقد الذي وجهه ابن مضاء للنحويين هو انه اعتبر ان في النحو ما يمكن الاستغناء عنه فيجب حذفه ، وذلك ينحصر في مسائل :

1) العوامل ، اى ادعاؤهم ان النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظي ، وان الرفع منها يكون بعامل لفظي وبمعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا : ضرب زيد عمروا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمروا انما احده ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا ان البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالابتداء بينهما يجعلون المبتدا مرفوعا بالابتداء ، وقد قال سيبويه في صدر كتابه « وانما تكررت ثمانية مجازي لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل ، وليس شىء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبني عليه الحرب بناء لا يزول عنه بغير شىء احدث ذلك فيه » فظاهر هذا ان العامل احدث الاعراب وذلك يبين الفساد ، وقد صرح بفساد ذلك ابو الفتح بن جنى وغيره ، وهكذا اخذ ابن مضاء يناقش سيبويه والبصريين في ادعائهم العوامل ويقول بابطالها .

2) اعترض على العوامل والتقدير المَحذوف وقال : ان المَحذوف في صناعتهم على ثلاثة اقسام : مَحذوف لا يتم الكلام الا به ، حذف لعلم المخاطب به ، كقولك لمن رأيت يعطى الناس اعط زيدا ، والثانى مَحذوف لا حاجة بالقول اليه ، وهو تام دونه ، وان ظهر كان عيبا كقولك : ازيدا ضربته . واما القسم الثالث فهو مضمحل اذا اظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل اظهاره كقولنا : يا عبد الله اى ادعو عبد الله فاذا اظهر فعل ادعو تغير المعنى وصار التداء خيرا .

وقد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها تمحلا لا حاجة اليه ، وقال ان اجماع النحويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة وينشد :

يقول من تفرغ اسماعه كم ترك الاول للاخر

3) اعترض ابن مضاء على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات واعترض كذلك على ادعاء تقرير الضمائر المستقرة في الانعالم .
4) انتقاد تنازع العامل عن المفعول الذي عبر عنه سيبويه « بباب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك .

5) باب اشتغال العامل عن المفعول ، اى اشتغال الفعل عن المفعول لتضميره مثل قولنا زيدا ضربته .

على الجزولية ، مات في حدود سنة ستين وستمائة
عن نحو أربعين سنة .

(8) محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة
المعروف بالشريف شهرة لانساب كذا قال السيوطي في
البنية ، قال أبو حيان في النصار كان بمراكش في
زمن ابن أبي الربيع يدرس كتاب سيويه والفقه
والحديث ويميل الى الاجتهاد ، قرأ عليه اجلهم أبو عبد
الله الصنهاجي وأبو اسحاق العطار شارح الجزولية .
مات بمراكش عام اثنين وثمانين وستمائة .

(9) محمد بن علي السلاوي التحوي : قال في
البر السافر ، كانت له شهرة بمراكش وكان يقرأ
كتاب سيويه ومن احفظ الناس لكتاب الكامل ،
مات سنة خمس وستمائة . (2)

(10) عبد الله بن محمد بن عيسى « كان يختص
كتاب سيويه في كل خمسة عشر يوما يعني كما يتلى
القرآن او كتب الحديث » . (3)

(11) الاعلم يوسف بن سليمان الشنفرى شرح
آيات الكتاب وشرحه مطبوع في ذيل كتاب سيويه من
طبعة بولاق .

(12) ابن الطراوة سليمان بن محمد المالقى
(528) تلميذ الشنفرى ، قرأ عليه كتاب سيويه ،
الف المقدمات على الكتاب ، كما أن له اعتراضات على
الكتاب .

(13) علي بن محمد الكتامى الاثيلى (680) كتب
ردا على اعتراضات ابن الطراوة على كتاب سيويه .

(14) أبو حفص عمر بن عبد الله السلمى
الاغماتى ، ولد باغمات وانتقل للسكنى بمدينة فاس ،
اخذ عن أبي بكر بن طاهر كتاب سيويه ، وكان من
الشعراء الجيدين ، مات سنة 604 وهو قاضى
باشيلى وكان قبل ذلك قاضيا بفاس .

(15) ومن كبار الشخصيات الذين عنوا بشرح
سيويه وقراءته أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد
الفهري السبتي ، ولد بسبتة وتوفى بفاس سنة 657
وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة (ملء العيبة
بطول الغيبة في الوجهتين الكرمتين الى مكة وطية)
وله شرح على كتاب سيويه .

بعضهم أبا حيان عن سيويه أمام ابن تيمية فقال هذا
الأخر : وهل سيويه شيء ؟ لقد أخطأ سيويه في
ثلاثين موضعا ، فاعرض أبو حيان عنه ورماه في كتابه
التهر بكل سوء . وقد شرح الكتاب والف الملخص من
شرح سيويه للصفار ، كما ألف التجريد لاحكام
سيويه . (1)

(3) ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن علي
الاصبحى الشيخ شهاب الدين أبو العباس العناني ،
نقل السيوطي عن ابن حبيب أنه قال عنه أنه حاز
افنان الفنون الانبية وملك زمام العربية ، وانتقل الى
الشام وتفقه الشافعى ، شرح كتاب سيويه وكتاب
التسهيل لابن مالك ، وكان قد أخذ عن أبي حيان ،
ومات في تاسع عشر المحرم سنة ست وسبعين
وسبعمائة .

(4) أبو بكر الجذامى الملقى : قرأ النحو على
الشلويين ، صنف شرح سيويه كما شرح ايضا
الفارسي ولع بن جنى ، توفى يوم السبت ثامن
رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة .

(5) محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن
خلف اللخمى اللغوي التحوي السبتي ، نسب له
التجيبى في رحلته المدخل الى تقويم اللسان وتعليم
البيان ، قال ابن الأبار له كتاب الفصول و الجمل في
شرح آيات الجمل ونكت على شرح آيات سيويه
للاعلم ولحن العامة وشرح الفصيح وشرح مقصورة بن
ريد ، كان حيا سنة 557 .

(6) محمد بن حجاج الحضرمى أبو عبد الله
وأبو بكر الوزير المعروف بابن مطرف قرأ النحو على
الشلويين وكان يحفظ كتاب سيويه وله تقييد على
جمل الزجاجى ، قال تقي الدين الفاسى أنه جاور
ببكة وكان من الصالحين ، ومات ليلة الخميس ست
رمضان سنة ست وسبعمائة .

(7) محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الانصاري
الملقى المعروف بالشلويين الصغير ، أخذ العربية
والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن
عصفور ، قال السيوطي في البنية أنه شرح آيات
سيويه شرحا مفيدا واكمل شرح شيخه ابن عصفور

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ص 121 .

(2) بغية الوعاة ص 84 .

(3) مراتب النحويين ص 65 .

كرسى سيوييه والنحو في جامعة القرويين :

من المعروف في حوالات الاوقاف المغربية ان هناك وقفا على كرسى لقراءة كتاب سيوييه يعين له كبار العلماء ويحضره الذين يريدون التخصص في النحو ومعرفة الاسلوب البصري ومنهج سيوييه ، وقد نكروا في ترجمة المكودي شارح الالفية وهو ابو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي انه كان يدرس كتاب سيوييه في مدرسة المطارين ، وانه آخر من درسه بفاس ، وعليه فقد كان قبله مواطنون على تدريسه ، وقد لا يكون التدريس للكتاب استمر بصفة غير منقطعة ولكن الذي لا شك فيه ان تدريسه وقع بفاس بعد المكودي ومن الذين درسوا سيوييه ابو حفص الفاسي .

ويظهر ان الفية ابن مالك والتسهيل وتوضيح ابن هشام وغيرها من الكتب الشهيرة في النحو كان لها الحظ الأوفر بعد هذا العصر في دراسة النحو في جامع القرويين والمدارس المضافة اليها ، واذا عرفنا ان الاسلوب المتبع سابقا في دراسة العلوم في القرويين يرجع اختيار الاستاذ والكتاب فيها الى الطلبة انفسهم، واذا كنا نعلم ان المدارس التي يسكنها الطلبة وتحيط بالقرويين كانت فيها قاعات فيها كراسى متخصصة لدراسة العلوم التي من بينها علم النحو في القرويين والمدارس المحيطة بها ، نيقنا انهم درسوا سيوييه الى جانب ما درسوه من كتب النحو المشهورة .

وقد عدد الاخ الاستاذ عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين المجلد الثاني منه عدد الكراسى التي كانت مخصصة للنحو والفقه معا والبعض منها الذي كان مخصصا للنحو فقط ، واقدم هذه الكراسى العلمية هو الكرسى الذي كان بمدرسة الحلفاويين التي سميت بعد مدرسة الصغارين وكان يقرأ فيه الفقه والنحو ، ومن مشاهير الاساتذة الذين درسوا فيه الشيخ سيدي احمد السراج ، ومثل ذلك يقال عن مدرسة الخصة التي كانت معدة للفقه والنحو ، وقد كان من جملة اساتذتها الذين درسوا النحو بها قاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي تولى تدريس المفنى كما درس بها كتاب سيوييه والسرقي وابن مالك وابن آجروم والمكودي ، وكان كرسى المدرسة المتوكلية

خاصا بالنحو تعاقب عليه جملة من العلماء ، وفي مدرسة الصهرح كان هناك كرسى للفقه والنحو ، وكذلك كرسى مدرسة العطارين للفقه والنحو ، فقد سبق ان قلنا ان مدرسة العطارين كانت تحتوي على كرسى للنحو الذي درس فيه كتاب سيوييه الى بداية القرن التاسع وهناك كرسى آخر بمدرسة فاس الجديدة للفقه والنحو ايضا . ومثله بمدرسة الوادي للفقه والنحو ، وكان بمسجد الرصيف كرسى خاص بالنحو ، وبمسجد الشراييلين كذلك كرسى خاص بالنحو (1) .

وقد وضع جزء من كتاب سيوييه ضمن برنامج الاجازة التي نظمتها الفرنسيون لتخريج حملة الشهادة العربية الاصيلية من الفرنسيين الذين كانوا يعدونهم لترجمة في المستعمرات والبلاد المحمية ، وقد رايت واحدا من هؤلاء الذين كانوا يعدون لامتحان هذه الشهادة يأخذ من ابن عمنا سيدي عبد السلام الفاسي دروسا بالمشافهة والمراسلة في الجزء المقرر من كتاب سيوييه ، واعتقد ان حملة هذه الشهادة من المغاربة درسوا ذلك الجزء من الكتاب .

وقد اهتم الاخ عبد القادر زمامة من خريجي القرويين بكتابة فصل في مجلة (دعوة الحق) العدد السابع السنة الخامسة ص 43 يدعو فيه الى اعادة الاهتمام بكتاب سيوييه ودراسته ، وهكذا فان مقام سيوييه وكتابه عظيم في المغرب لم يمنع المغاربة من العناية به ميلهم لنحو الكوفة ولا محاولة اقامة مدرسة مغربية ، الامر الذي يدل على انهم ادركوا مقامه وقدره وقدره وهو بالعناية جدير .

رواية المغاربة لكتاب سيوييه وسندهم في ذلك

اعتاد المغاربة اقتداء باخوانهم في الشرق ان يأخذوا كل العلوم بطريق الرواية والاسناد ، ويعتبرون الرواية ولو بطريق الاجازة هي التي تنقل العلم من الاستاذ الى التلميذ ، فكما يسندون القرآن الى ائمة القراءات وعن اخوها وحفظوها ، ويسندون الحديث الى روايته ، كذلك يسندون الكتب الى مؤلفيها والعلوم الى مؤسسيها عن طريق ائمتها ، ومن ثم نجد المغاربة معنيين برواية النحو واسناده الى مؤسسه

(1) انظر تفاصيل هذه الكراسى واوقاتها في الفصل الذي كتبه السيد عبد الهادي التازي في كتابه عن القرويين تحت عنوان (المدينة ذات المائة والاربعين كرسى) ص 379 ، ج 2 .

الاول على بن ابي طالب ، ورواية اهم مدوناته وفي مقدمتها كتاب سيبويه ، وقد سبق ان قلنا ان الرواية عن سيبويه كلها تمر عن طريق الاخفش ، يستوي في ذلك المسندون من المشاركة او من المغاربة .

وسنجزئ هنا بسندنا في النحو الى الامام على ابن ابي طالب عن طريق الاخفش وسيبويه فنكون بذلك قد ذكرنا السند الموصل بالاجازة لكتاب سيبويه والمرفوع الى المؤسس الاول للنحو ابي الحسين كرم الله وجهه ، فنقول روينا النحو اجازة وقراءة من استافنا العلامة المرحوم سيدي احمد العمرانسي وشيخنا ابي حفص عمر الحرسى المنفى التونسي الاصل المتوفى بالمدينة المنورة وذلك حين قدومه الى مدينة فاس ، عن شيخها ابي الحسن على بن طاهر البزري ، عن عبد القادر بن احمد بن ابي جريدة الكوهن الفاسى عن الشيخ المحقق الطيب بن كيران و ابي العلاء المراقى الحسينى وابن عبد الله الزروالى فالاولان عن والد الثماني زين العابدين العراقى والآخر عن الاول وعن ابي محمد بن عبد القادر بن شقرون وهما عن ابي حفص الفاسى و ابي السعد عبد المجيد الحسنى التالى الشهير بلزبدي زاد ابو العلاء بالاخذ عن الشيخ التاودي ابن سودة والثلاثة عن العلامة الحافظ التحوي سيدي محمد الجندوز المصودى و ابي العباس سيدي احمد الوجارى القضاعى وهما عن الشيخ المسناوى والعلامة سيدي محمد بن زكري والعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى وهم عن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى و ابي الفضل المرزى بن الحاج ، وهما عن والد الاول بسنده الى ابن حجر عن ابي الفرج العربى عن يونس المسقلانى عن محمد بن الفضل المرزى ، عن زين بن حسن الجندوز عن عبد الله الخياط ، عن المبارك الدباس ، عن عبد الواحد بن برهان ، عن ابي القاسم النيفى ، عن ابي الحسن الرمانى عن ابي سعيد السيرفى عن ابي بكر محمد بن السراج وعن طريق سيدي احمد بن العربى بن الحاج عن الشيخ ابي سالم العياشى اجازة عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن العلقمى ، عن السيوطى ، عن ابن مقبل عن الصلاح ، عن ابي عمر ، عن الفخر البخارى ، عن ابي حفص ابن طبرزه ، عن ابي بكر

الانصارى ، عن ابن محمد الجوهرى ، عن ابي على الفاريسى ، عن ابي بكر السراج المتوفى سنة 276 يفتاد عن الجرمى والمازنى ، عن ابي الحسن الاخفش عن سيبويه وهو ابو عمر بن عثمان بن قنبر البصرى المتوفى سنة 180 عن الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى سنة 170 عن ابي عبد الله بن ابي اسحاق وعيسى ابنى يعمر و ابي عمر بن العلاء ، وهم عن عنبة الفيل وميمون الاقرن ويحيى بن يعمر وعطاء و ابي حرب ابنى ابي الاسود الذولى رضى الله عنه ، عن سيدنا ومولانا على بن ابي طالب كرم الله وجهه . قال الكوهن فى فهرسته بعد ذكر السند السابق وهو ابي سيدنا على واضمه كما اخرج الزجاجى فى اماليه والبيهقى فى شعب الايمان و ابو الفرج فى الاغانى من طرق ممتدة ، وهذا بعض مظهر قوله (صلم) « انا مدينة العلم وعلى بابها » اخرج الترميذى والحاكم عن سيدنا على كرم الله وجهه ، واخرجه الحاكم ايضا والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن هذا رفقمدار العناية التي كانت للمغاربة بنحو البصريين والى مناهجهم ، وان كانوا اميل الى النحو الكوفة مقر على ابن ابي طالب كرم الله وجهه المؤسس الاول للنحو وان كانوا قد وضعوا فى احدى مراحل تاريخهم مدرسة انطلسية مغربية تختلف فى الكثير عن مدرسة البصرة . ولا شك ان التنكر بدور المغرب فى هذا الفن وعنايته بزجاله الكبار فى المشرق والمغرب واعطائهم لسبويه نفس الاعتبار الذي يعطونه للعالم الاسلامى ، وتعمل من الكسائى والاخفش وسبويه وغيرهم من رجال المعجم ، والجزولى و ابا حيان وابن اجرى وغيرهم من ابناء البربر المغاربة ، ائمة علم العربية وابطال الوضع لقواعدها وارساء مبانيها الى جانب الاجلاء لاسرارها ومعانيها ، ليس فى هذا ما يجعل حضارة الاسلام وثقافته مشتركة بين شعوبه وترانا قوميا لكل المسلمين الذين وحد القرآن بينهم وجعل اللسان العربى مظهرا من مظاهر توحيد الامة المحمدية الخالدة .

علاء الفاسى